

تاريخ القبول: 2025/11/07

تاريخ الإرسال: 2025/08/14

تاريخ النشر: 2025/11/30

التجربة النقدية عند صالح خرفي
قراءة في كتاب "حمود رمضان" لصالح خرفي
The critical Experience of Saleh Khurfi
Reeding in The Book "Hammoud Ramadan" in
Favor

عبد القادر ضيف الله أستاذ محاضر أ
 المركز الجامعي النعامة، (الجزائر)، a.difallah@cuniv-naama.dz

الملخص:

إذا كان النقد فعالية إنسانية وإبداعية وعلمية تهدف إلى اكتناه عالم الخطاب الإبداعي في مستوياته الأسلوبية والتركيبية والدلالية من خلال ركيزتين أساسيتين، هما الرؤية والمنهج لتشكل في النهاية تجربة الناقد، لهذا سحاول في هذه الورقة البحثية الموسومة ب: "التجربة النقدية عند صالح خرفي"، قراءة في كتاب "حمود رمضان"، أن تكشف عن التجربة النقدية، وآلياتها من خلال الركيزتين الأساسيتين اللتان تنبني عليهما التجربة النقدية عند صالح خرفي، وهما رؤيته ومنهجه في الكتاب، وعليه ستكون إشكالية ورقتنا البحثية: هي كيف عالج صالح خرفي المدونة الشعرية والنثرية عند (حمود رمضان)؟، وماهي الأسس والطرائق التي اعتمدها لأجل ذلك، وماهو مضمون الكتاب؟.

الكلمات المفتاحية: التجربة النقدية، الخطاب النقدي، المنهج، الرؤية، الآليات النقدية

Abstract:

If criticism is a human, creative, and scientific activity aimed at understanding creative discourse in its stylistic, structural, and semantic levels through two pillars, which are vision and methodology, ultimately shaping the critic's experience, we will attempt in this research paper titled: "The Critical Experience of Saleh KhreFI" to study Hamoud Ramadan's book "to reveal the critical experience, which is his vision and methodology in the book. Accordingly, the problem of our research paper is how Saleh KhreFI addressed the poetic and prose collection in Hamoud Ramadan's book, what foundations and methods he relied on for that, and what is the content of the book?

Keywords: Critical experience, Critical discourse, methodology, vision. Critical techniques

المؤلف المرسل: عبد القادر ضيف الله: A.DIFALLAH@CUNIV-NAAMA.DZ

مقدمة:

يتحدث محمد صالح خرفي في كتابه "حمود رمضان"، عن إنجازات رمضان حمود الأدبية والنقدية من خلال قصائده الشعرية، وأرائه تجاه الأوضاع السائدة في عصره، واستشرافه لوضعنا العربي، وكيف أنه استطاع في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات، أو أربع سنوات، وهي المدة التي تفصل بين بزوغ نجمه كشاعر وطني واعد، بعد فوزه بمسابقة في الشعر في جريدة الشهاب سنة (1926)، وبين وفاته سنة (1929)، أن يكتب سلسلة من المقالات والكتابات الشعرية، والنقدية. يقول محمد صالح خرفي في مقدمة كتابه "حمود رمضان": "إذا كانت مجلة (الشهاب)، قد أعلنت عن فوز (رمضان حمود)، في مسابقة شعرية، ونشرت قصيدة الفائز في المسابقة ونسبته إلى (الأديب الوطني)، ثم ما لبثت أن نعتة سنة (1929)، (بالشاعر الفقيده)، أدركنا أن العمر الحقيقي لرمضان حمود لا يتجاوز الثلاث أو الأربع سنوات،

فبين البشري بالشاعر الواعد، ونعي الشاعر الفقيد نشر رمضان حمود سلسلة مقالاته عن (عن حقيقة الشعر وفوائده)، و (الترجمة وأثرها في الأدب)، في مجلة الشهاب نفسها سنة (1927)¹.

إذن، نحن أمام كتاب يحاول فيه محمد صالح خرفي مقارنة حياة شاعر، وناقد شاب، ومقاربة منجزه الشعري، والنقدي الذي استطاع انجازه في ظرف قصير لا يتجاوز الأربع سنوات، مسجلا اسمه في تاريخ الأدب الجزائري، لهذا سنحاول من خلال قراءة هذا الكتاب الكشف عن الآليات النقدية التي قارب بها محمد صالح خرفي منجز (رمضان حمود)، الشعري والنثري، والنقدي، كما سنحاول الكشف عن المنهج والرؤية، والأداة الإجرائية التي استخدمها في قراءته لهذا المنجز، وكيف استطاع الإحاطة في قراءته بالمنجز الأدبي والنقدي ل(رمضان حمود)، وكيف تجلّى الرؤية في هذا الكتاب التي تعبر عن خلاصة فهم محمد صالح خرفي لأهمية شعر (رمضان حمود)، ومقولاته النقدية، وأرائه في شعر بعض الشعراء العرب الكبار الذين أثير حولهم جدل كبير في خارطة الشعر العربي المعاصر في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي أمثال أمير الشعراء أحمد شوقي.

لأجل ذلك قسمنا ورقتنا البحثية إلى ثلاثة محاور كبرى:

— (1) المحور الأول: جعلناه للتعريف بأقسام الكتاب،

— (2) المحور الثاني: خصصناه: لتأثير الجانب السياسي في الأدب،

— (3) المحور الثالث: يتعلق بالمنهج والرؤية، حيث حاولنا الإجابة فيه عن سؤال المنهج المتبع والإجراء، والرؤية، وهل وفق محمد صالح خرفي بالإحاطة بأدب رمضان حمود وتبيين ما كان يريده من تأليفه لهذا الكتاب التعريفي برمضان حمود الشاعر والناقد أم لا؟

2. أقسام الكتاب:

قسم صالح خرفي كتابه "حمود رمضان"، إلى مجموعة أقسام، ستة عشر قسم وملاحق لنماذج من شعره ونثره، بدأها **بمدخل** جعله خصباً لقصيدة "الحرية"، التي كتبها (رمضان حمود) سنة (1928)، ثم تلتها مجموعة من المقالات، قدرت باثنتي عشرة مقالاً يمكن تحديدها على الشكل التالي: المقالة الأولى: جاءت على شكل تقديم موجز بعنوان (الشاعر الفقيه)، حاول فيه محمد صالح خرفي تلخيص سيرة وأراء (حمود رمضان)، وتلخيص ما جاء في الكتاب من خلال إبراز بعض الشواهد من نتاجه الشعري والنقدي، كما قام في هذا التقديم بتبرير اختياره لعنوان الكتاب، فعبارة حمود رمضان بدل الاسم المشهور رمضان حمود كما هو معروف يقول عنها: "غير أن الشاعر يقدم لنا نفسه في ترجمة حياته في الجزء الأول من كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر)، بقوله: "اسمي حمود وأبي سليمان ولقبني رمضان"، فهو حمود رمضان لا رمضان حمود².

أما المقالات إحدى عشرة الباقية فجاءت فيها أربع مقالات عن تأثير السياسة أو الوضع السياسي على الوضع الثقافي، ثم مقال خامس تعريفياً بحياة (حمود رمضان)، ثم ست مقالات تحت موضوع مشترك "هو الثورة". ثم تلاها بملحق ضم نماذج من شعره ونثره.

الكتاب لا يحتوي على أي مرجع، يبدو أن المراجع المعتمدة في الغالب تمثلت في الجرائد والمجلات، مثل مجلة (الشهاب)، أو جريدة (وادي مزاب)، مع كتابات (حمود رمضان)، سواء الشعري منها أو النثرية المعتمدة كمصادر في الكتاب. ثم يختتم بمؤلفات الكاتب.

أما المقالات الإحدى عشرة فهي موزعة على الشكل التالي :

1- العشرينات بين المشرق والمغرب

2- في المشرق العربي

3 - في المغرب العربي

4 - في الساحة الفكرية والأدبية

5 - من هو رمضان حمود

6 - الثورة على الرجعية

7 - الثورة من أجل الفن

8 - الثورة على البرجية

9 - الثورة على الوزن والقافية

10 - الثورة على شوقي

11- الثورة على الظلم.

3. تأثير الثورات السياسية في الساحة الأدبية والفكرية

تَجَسَّدَ هذا العنصر في المقالات الثلاث التي جاءت بعد التقديم، وخصها صالح فخري كالتالي: المقال الأول الذي أطلقنا عليه مقدمة جاءت تقديمًا من الكاتب للأديب (رمضان حمود)، تحت عنوان: "الشاعر الفقيد" حيث جاء فيه سرد للحياة الأدبية والفكرية، للشاعر والناقد الفقيد (رمضان حمود)، الذي قدم في حياته القصيرة التي لم تتعدى الثلاث والعشرين سنة سلسلة من المقالات عن (حقيقة الشعر وفوائده)، و(الترجمة وأثرها في الأدب) التي نشرها بجريدة (الشهاب)، في نفس سنة (1927)، وكتاب نشر بعد وفاته بعنوان (بذور الحياة) سنة (1928)، وقصة (الفتى) سنة (1928)، إلى جانب قصائد عديدة نشرت له في مجلة (وادي مزاب)، ودوريات أخرى، وقد ضمن كتابه (بذور الحياة)، مواقفه النقدية وأفكاره التحريرية والتجديدية في الشعر، وردوده الرائدة على كتابات (أحمد شوقي)، التي سبقت ردود، ونقد جماعة الديوان كما يرى صالح فخري، والتي يطلق عليها بالآراء الثورية التي نشرت سنة (1926)، في حين أن آراء جماعة الديوان وعلى رأسهم العقاد حول

كتابات شوقي جاءت إلى غاية سنة (1930)، حيث يقول صالح خرفي: " ثورة رمضان على (شوقي) أمير الشعراء، وجه آخر من الوجوه المميزة لهذه العبقرية الصاعدة من جنوب الجزائر، فهو يربأ بك الظن أن تسى لمكانة شوقي في نفسه، وهو المبايع له بإمارة الشعر مع الوفود التي بايعت مع حافظ إبراهيم، وليس بينه (...)، هذا الذي بين شوقي والعقاد وجماعة الديوان، وما بين شوقي وطه حسين، من هذه النقائض المعاصرة وليدة الإبداع المتنافس، والريادة المتزاحمة، والعاطفة الجامحة. إنما شوقي عند رمضان حمود ظاهرة أدبية، أصبحت ملك قرائه والمعجبين به، ومراجعة هذه الظاهرة من أوكد الواجبات في سنة التطور، ولدا لم يعد شوقي أن يكون بالنسبة للناقد الجزائري مدخلا إلى رأيه في الشعر المعاصر وقناعته الحتمية في التجديد"³.

وإظهار أهمية (رمضان حمود)، كشاعر مجدد يشبه إلى حد بعيد الشاعر التونسي (أبو القاسم الشابي)، الذي رحل هو الآخر شابا في ريعان شبابه، أما القسم الأول فهو عبارة عن مجموعة مقالات محددة بأربعة، تشترك كلها في تغطية الوضع السياسي والفكري في مرحلة العشرينيات التي يرى صالح خرفي أنها تُعد أهم مرحلة في النهضة الأدبية في المشرق والمغرب العربي على حد سواء، وهي كالتالي: (العشرينات بين المشرق والمغرب، في المشرق العربي، في المغرب العربي، في الساحة الفكرية والأدبية).

أما الأقسام الثلاث، أو المحاور التي شكلت مجموع المقالات التي قدم فيها محمد صالح خرفي مدونة الشاعر الثائر والمجدد (رمضان حمود)، في اطار تشكل الأدب العربي الحديث والتأثيرات السياسية التي ساعدت على وجوده هي على التوالي: أولا: تأثير الثورات السياسية في الأدب، ثانيا: ثورات الأدب، ثالثا: نماذج من شعر ونثر

رمضان حمود

من خلال هذا المحور الثلاث سنحاول تقديم مختصر عن محتوى تلك المقالات التي حاول فيها صالح خرفي أن يضع القارئ أمام جانب نظري في إطار تشكل الأدب العربي الحديث، والتأثيرات السياسية التي ساعدت على وجوده. فنجد أنه يتحدث عن الثورات السياسية التي ساهمت في النهضة الأدبية، أو الثورة الأدبية التي كانت انعكاسا لها، فيقول في أول مقال معنون ب: "(العشرينات بين المشرق والمغرب)": "شهدت العشرينات مشرقا ومغربا، هزات عنيفة فجرها التصادم مع المد الاستعماري، وتغلغله في العالم العربي الإسلامي. وشملت هذه الهزات كل جبهة من جبهات المقاومة الوطنية، ثورة مسلحة، أو انتفاضة سياسية أو دعوة إصلاحية أو تفجرا أدبيا وفكريا".⁴

أمافي المقالة الثانية المعنونة ب: "(في المشرق العربي)"، يذكر محمد صالح خرفي العديد من الثورات، منها على سبيل المثال لا الحصر (الثورة العربية)، التي يقول عنها العقاد في كتابه "شعراء مصر": "ظهرت طلائع النهضة الشعرية في مصر حين ظهرت فيها طلائع الثورة التي عرفت باسم (الثورة العربية)، ولم تسبقها نهضة مذكورة بعد الركود الذي أصاب الشعر العربي كله في أعقاب الدولة العباسية"⁵، و(الثورة العربية 1916)، و(مشانق أحرار العرب 1916)، و(ثورة 1919)، و(ميلسون 1920)، (الغوطة 1925)، و(الثورة العراقية على الانجليز... الخ)، أما المقالة الثالثة: "(في المغرب العربي)"، يذكر فيها صالح خرفي تأثير الحرب العالمية الأولى، وتأثير الممارسات الاستعمارية، فيقول: "وكانت الحرب العالمية الأولى وقد دفع فيها أبناء الوطن المحتل، ضريبة الدم والروح، مظلة لكل نائر مهذور ودم مطلول، وجاء (مؤتمر السلام)، بمبادئ (ويلسون) فالهب المشاعر ورص الصفوف، وحرك الوفود والمطالب، فإذا الأرض تميد تحت أقدام الغزاة"⁶، ثم يركز على ثورات الجزائر مثل (ثورة عين تركي 1901، وثورة عين بسام 1906).

أما في ليبيا فكانت الثورة أو كما يسميها الملحمة البطولية (1911)، في وجه الغزو الإيطالي، وكذلك في تونس حدثت أحداث دامية مثل الأحداث الدامية لسنة (1921)، التي كان لها تأثير كبير على مشاعر شعوب المغرب العربي مثلها مثل ما حدث في المغرب الأقصى من ثورات مثل (ثورة الأمير عبد المالك في وجه الاستعمار الفرنسي في المغرب 1915-1925)⁷، وثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في الريف بين سنة 1920-1926)، يقول صالح خرفي عن هذه الأجواء التي اكتسحت الساحة السياسية في المغرب العربي في هذه الفترة: "ولو التفطنا إلى الساحة من زاوية التملل السياسي لوجدناها هي الأخرى في فترة العشرينات بالتحديد، حافلة بالفعل ورد الفعل بين المستعمر والمواطن، زاهرة بالانتفاضات الحزبية، والتكتلات الوطنية، والتصادم المتصاعد مع قوات الاحتلال، تحدوه تطلعات تحررية، وتتحده قوانين استثنائية، وتفجره إجراءات قمعية."⁸

هذه المقالات حاول فيها صالح خرفي أن يحدد الإطار الزمني الذي تراكمت فيه الأحداث السياسية المؤثر في نهضة الأدب العربي في المشرق، والمغرب العربي.

4. أهم القضايا التي عالجها الكتاب:

يعالج محمد صالح خرفي في كتابه "حمود رمضان"، العديد من القضايا الأدبية والنقدية التي تعرض لها الشاعر والناقد (رمضان حمود)، في كتاباته، منها قضية التجديد والثورة على القديم، فهو الشاعر الثائر الذي طلق السياسة لكنه كان ثائرا وطنيا في كل شيء، فهو: "شاعرا تبرا من السياسة، ولكنه سياسيا وطنيا ثائرا في كل كلمة تلفظ بها، وبيت الشعر أنشده."⁹، عالج أيضا قضية التجديد والإصلاح في مجتمعة، كما نادى بالثورة من أجل الفن والحياة، والثورة على البرجية، وعلى الوزن والقافية وعلى الظلم . فكانت ثورته "مقرونة ببعث، مبشرة بأمل واعد، وغد موعود. ليست ثورة معولية فقط، لكنها ثورة اعلاء وعطاء تقرن الكلمة الغاضبة،

بالفقرة الموحية، الزفرة الشجية، بالبسمة المورقة، كذلك كان رمضان في كل انفاسه المبدعة، شعرا ونثرا. وقفات متأملة، وخواطر عابرة، يصل الكلمة الرشيدة في المبدع، بالقلب الواعي في المتلقي، فيتولد الأمل، وتورق الحياة، وكذلك قدم كتابه في (بذور الحياة): "إن الكلمة الرشيدة إذا صدرت من قلب نقي. طاهر، وبذرت في قلب يشابهه، والحياة تولد منها غصن الأمل"¹⁰.

4 - 1 قضية التجديد الشعري والثورة على القديم

إذا كان (رمضان حمود)، ثائرا على الرجعية، كافرا بكل ماهو قديم ورجعي، لأنه قد اختار التمرد، والدخول إلى المعركة بدون سلاح إلا من سلاح القلم كما قال صالح خرفي، فقد ثار ضد دعاة الصنموية والجمود، ومحبي كل ما هو قديم، كما كان ثائرا وكافرا أيضا في الوقت نفسه على دعاة التحرر السافر والانسلاخ، فهو يعدهم، مثلهم مثل دعاة القديم بالدخلاء، فيسميهم ب(الدخلاء الناعقين)، يقول صالح خرفي في هذا السياق عن (رمضان حمود): "أنه يحمل من النقمة على هؤلاء ما يحمله على أولئك، فهم سواسية في الإضرار بالمجتمع، وبالدين الصحيح، فهم شركاء في الخطة المبيتة، وإن كانوا على طرفي نقيض"¹¹.

يحدد صالح خرفي موقف (حمود رمضان)، من الحياة، ومن واقع الشعر في عصره، فهو من أبرز دعاة التجديد والإصلاح في مجتمعه، بعد أن شُغف بالثورة والإصلاح في كل مناحي الحياة، مثله مثل زميله ومعاصره الشاعر التونسي (أبو القاسم الشابي)، لهذا خصص محمد صالح خرفي القسم الثاني من هذا الكتاب الذي يمتد من (ص37، إلى غاية، ص63)، لست مقالات، كلها عن الثورة، موزعة كالتالي: (الثورة على الرجعية، ثورة من أجل الفن، ثورة على البرجسية، ثورة على الوزن والقافية، ثورة على شوقي، ثورة على الظلم).

يقول صالح خرفي في مقالة (الثورة عن الرجعية): "شغف شاعرنا بالتجديد في كل مظاهر الحياة، ونبضت بالإيمان به كل خفقة في قلبه، وسرت الدعوة إلى التجديد في كل لفظة خطها قلمه. وبيت شعر دبجته ريشته، ولم تخل قصيدة له من لفظة (التجديد)، مرادفة لللفظة (القديم)، حتى سمى بعضها بين (القديم والجديد)، ويبلغ أحياناً في الثورة والتمرد مبلغ زميله ومعاصره الشابي"¹². إذن فهو ضد الرجعية والصنمية، فهو يقول في كتابه: (بذور الحياة): "الرجعية مضرّة بالأُمم إلا في التاريخ، فمفيدة جداً"¹³.

هذا بالنسبة لدعوته إلى التجديد في مناحي الحياة، ونبذ كل ماهو قديم سواء على مستوى القصيدة، أو الحياة، أما القضية التي أعطى لها أهمية كبيرة، فتتعلق بماهية الشعر ووظيفته التي سنفصل فيها في عنصر قضية الشعر/ الماهية والوظيفة:

2.4 قضية الشعر/ الماهية والوظيفة

في هذا العنصر الخاصة بقضية الشعر سنجد محمد صالح خرفي قد خصص المقالة الثانية، للثورة من أجل الفن حيث تتجلى رؤية (رمضان حمود)، لماهية الشعر ووظيفته؛ فالشعر ليس رصفاً للكلمات ولا (منظومات)، مطولة كلها تقطيع وأوزان. فهو يقول رافضاً القصيدة القديمة :

أتوا بكلام لا يحرك سامعا

"عجوز" له شطر وشرط هو الصدر.

وقد حشروا أجزاءه تحت "خيمة"

كعظم رميم، ناخر، ضمه القبر¹⁴.

بل الشعر عند (رمضان حمود)، هو الشعور والوجدان، وإنصات للطبيعة، فالقصيدة تجدها في خريف الماء، وفي نشيد الطيور، وزئير الأسد، وصفير الريح وقصف الرعد وفي الجو الثائر كما جاء في قصيدته التي يبدأ بهذا المطلع:

فقلت لهم لم تباهاوا بقولهم

ألا فاعلموا أن الشعر هو الشعور

فليس بتنميق وتزويق عارف

فما الشعر، إلا ما يحن له الصدر

فهذا خريبر الماء شعر مرتل

وهذا غناء الحب، ينشده الطير¹⁵.

يضعنا محمد صالح خرفي في هذه المقالة أمام رؤية الناقد (رمضان حمود)، لماهية الشعر تنظيرا وتطبيقا، من خلال أولا تعريفه للشعر بأنه ليس أوزانا ولا قوافي بل هو الشعور والوجدان، والإنصات للطبيعة، فيقول أيضا: "الشعر هو تلك الجاذبية الساحرة التي تجمع بين النحلة وزهرة الربيع الفاتحة أكمائها"¹⁶.

إذن (رمضان حمود)، شاعر يتبنى التجديد ويتبنى الثورة على كل ما هو قديم، وهو ما يبينه مقطع القصيدة التي تعبر عن الاتجاه الرومنسي الذي تبناه الشاعر.

أما وظيفة الشعر عند (رمضان حمود)، فهي التغيير، فالكتابة التي لا تهدف إلى التغيير، ولا إلى كشف الظلم، وتعريته، هي كتابة ترفيهية، أو كتابة برجية متعالية إن صح التعبير، وهو مانجده في المقالة الثالثة والرابعة، حيث يتحدث عن الثورة على الوزن والقافية، وعن (البرجية)؛ التي يقصد بها المثقف المتعالي الذي يجلس في برجه العاجي ويخاطب المتلقي، أو ذاك الذي يستعمل الألفاظ المبهمة والغامضة بعيدا عن الإيضاح وإيصال رسالته للمتلقي البسيط؛ هنا يشير صالح خرفي إلى مسألة مهمة، وهي علاقة المتلقي بالنص الأدبي، وأن وظيفة الشعر أو الكتابة هي التغيير، أما مقالته الرابعة، فقد رصد فيها صالح خرفي ثورة (رمضان حمود)، على الوزن والقافية؛ فهي ثورة على القوالب الجامدة، والدعوة إلى التحرر منها. وهنا إشارة إلى التجديد المبكر الذي دعا فيه (رمضان حمود)، إلى فكرة لازالت مدار

النقاش النقاد والدارسين إلى اليوم، تتعلق بالوزن والقافية في الشعر العربي رغم أن الشاعر (حمود رمضان)، لم يستطع في شعره تجاوز ذلك، لكنه كان داعياً إليها ومؤمناً بها؛ يقول في تعريفه للشعر: "الشعر تيار كهربائي، مركزه الروح، وخياله لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن فيه ولا للقافية في ماهيته. وغاية أمرهما أنهما تحسينات بديعية لفظية، اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى. كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة، وإنما حفظاً وصيانة من التلاشي والسيلان".¹⁷

3.4 قضية تحطيم الصنمية ومواجهة الظلم

في المقالة الخامسة والسادسة يلتزم (رمضان حمود)، بقضية التجديد والاصلاح الاجتماعي من خلال الدعوة أولاً: إلى الثورة على صنمية شوقي في المقالة الأولى، أما الثانية فيدعو للثورة على الظلم، وهذا ما سيركز عليه صالح خرفي لتبين الآراء النقدية والسياسية ل(رمضان حمود)، حيث يطلب من الشعراء أن يتسموا بالثورة ويلتزموا بها في شعرهم، لهذا جاءت ثورته على صنمية شوقي، ثورة غاضبة اعتبرها صالح خرفي سابقة في الدعوة إلى التجديد ورفضاً للتقليد ولشعر المناسبات والأغراض التي يبنى عليها الشعر الكلاسيكي، رغم أنه يقترب في نقده لشوقي من جماعة الديوان في دعوته إلى التجديد إلا أنه يختلف عنهم، فقد سبقهم زمنياً في الدعوة إلى التجديد، أما اختلافه معهم، يكمن في المنطلقات، فجماعة الديوان انطلقت في نقدها لشعر شوقي حسب صالح خرفي من منطلق المنافسة والعداوة، في حين أن (حمود رمضان)، قد انطلق في نقده لشوقي من منطلق أدبي محض، ومنطلق غيرة على الشعر العربي وتطوره؛ يقول صالح خرفي في هذا السياق: "وثورة رمضان على (شوقي) أمير الشعراء، وجه آخر من الوجوه المميزة لهذه العبقرية الصاعدة من جنوب الجزائر، فهو يربأ بك أن تسيء الظن بمكانة (شوقي)،

في نفسه، وهو المبايع له بإمارة الشعر مع الوفود التي بايعت مع حافظ إبراهيم، فليست بينه، وهو قعيد المرض، ومهيبض الجناح، في أعماق الصحراء الجزائرية، وبين (شوقي) في (كرامة ابن هاني) على ضفاف النيل، أو على باب إسماعيل، هذا الذي بين (شوقي)، و(العقاد)، وجماعة الديوان، ومابين (شوقي)، و(طه حسين)، من هذه النقائض المعاصرة وليدة التنافس، والريادة المتزاحمة، والعاطفة الجامحة.¹⁸

إذا كان محمد صالح خرفي قد جمع أراء(رمضان حمود)، ورؤيته للشعر العربي تنظيرا وممارسة، وأراءه في اصلاح المجتمع وعدّها بأنها آراء رائدة وسباقة، فماهي إذن، الأداة المنهجية التي استعملها لذلك، وكيف تجلت رؤيته النقدية في تعامله مع المدونة الشعرية والنقدية ل(رمضان حمود)؟

للإجابة عن هذه الأسئلة سوف نحاول الكشف عن المنهج والرؤية لدا

محمد صالح خرفي في كتابه "حمود رمضان".

5. المنهج والرؤية

سنحدث في هذا العنصر عن الخطاب النقدي باعتباره حاملا للمنهج والرؤية عند محمد صالح خرفي، لأن الخطاب النقدي كما يعرفه داود يليمان الشولي هو "البناء الأدبي، القائم والمؤسس على نظرية نقدية تعتمد أصولا معينة في فهم الأدب واكتشاف القيمة الجمالية والنفسية، والفكرية، والاجتماعية للعمل الأدبي"¹⁹.

إذن، باعتبار محمد صالح خرفي أحد أهم النقاد الجزائريين المؤسسين للنقد الجزائري، من خلال استيعابه وتنوقه للأدب والنقد الجزائري، والعربي، وعبر دراسته وتحليله، لنصوص(رمضان حمود)، سواء الشعرية أو النثرية، يتبين لنا مدى اطلاعه على الحركة الأدبية والشعرية العربية والمغربية التي كانت تدار رحاها في سنوات العشرينيات والثلاثينيات خاصة، لهذا جاء كتاب(حمود رمضان) محاولة رائدة لتقديم ناقد جزائري شاب اتسمت رؤيته النقدية والشعرية بالغنى والثراء، لهذا جاء هذا

الكتاب الذي بين أيدينا غني بالمعلومات، والأحداث الأدبية التي كان لها صدى وتأثير في كتابات (رمضان حمود). وقد كان كل ذلك عبر الاستعانة بأدوات منهجية، جمعت بين الوصف، والتحليل، ضمن رؤية نقدية وزعها محمد صالح خرفي على مدار صفحات كتاب (حمود رمضان)، على إثنتي عشرة مقالا، بدأها بمقال على شكل تقديم موجز بعنوان: (الشاعر الفقيده)، حاول فيه تلخيص سيرة وأراء (رمضان حمود)، وتلخيص ما جاء في الكتاب، بإبراز بعض الشواهد من إنتاجه الأدبي والنقدي. وقد تناول كل ذلك تنظيرا وتطبيقاً، بل حاول في بعض المقالات انتقاء النص الشعري، والنثري كما جاء في مدونة (رمضان حمود)، "وبحث عن معادله الموضوعي الذي وظفه كمصطلح نقدي، علاوة على تقديمه لتحليلات معرفية كشف من خلالها الدلالات التي تحملها تلك النصوص الشعرية والنثرية التي دعا من ورائها إلى بلورة اتجاه نقدي يهتم بالعلاقات الداخلية والخارجية التي تتضمنها تلك النصوص"²⁰.

إذن، يمكن القول بداية أن خطاب محمد صالح خرفي النقدي قد اتسم بالإبداعية، فهو من جهة يقدم النصوص، ثم يقوم ببلورة رؤية نقدية حولها تتسم بالبناء مثلما هو الحال في الخطاب النقدي الحداثي عموماً، وباعتبار محمد صالح خرفي من أبرز النقاد الذين أبدوا اهتماماً متزايداً بدراسة الأدب من منظور منهجي علمي، يعتمد أدوات وآليات إجرائية تستخلص من أفاق رؤية شاملة للإبداع الأدبي، التي يعرفها عبدالله إبراهيم بقوله هي: "خلاصة الفهم الشامل للفعالية الإبداعية في نواحي النسيج والبنية والدلالة والوظيفة"²¹.

سنحاول إذن، أن تبين ونحيط في هذا العنصر عن أي منهج استخدمه محمد صالح خرفي في قراءته لمدونة (رمضان حمود)؟

1.5 المنهج:

سنقوم في هذا العنصر بالكشف عن تجربة محمد صالح خرفي النقدية، أولاً: من خلال البحث عن: المنهج المتبع في كتاب (حمود رمضان)، قبل : البحث عن الرؤية التي يستخلص منها هذا المنهج، فهي في المقام الأول فهم عميق وشامل للعملية الإبداعية، لأن الناقد المبدع لا يمكنه إلا أن يتسلح بمجموع الأدوات، ويتبع مجموعة الإجراءات العلمية ليصل إلى غايته المعرفية، لهذا سنحاول أولاً الكشف عن الركيزة الأساسية التي تشكل التجربة النقدية عند صالح خرفي وهي المنهج.

إذا كان الخطاب النقدي في حقيقته ليس «مجرد تعليقات موازية للنص الأدبي، أو وجهات نظر غير مرتبطة بروؤية وجودية ومعرفية معينة، بل إنه يتكون من مجموعة من العناصر والعلاقات، فالعناصر تتمثل في المادة اللغوية التي تجسده والأفكار والمفاهيم والتصورات المعرفية التي يحتوي عليها، والأدوات العقلية، والمنطقية أي أدوات المنهجية ومعاييره الخاصة فضلاً عن الموضوع الذي يعالجه هو الأدب، أو النقد نفسه»²²، فإن المنهج الذي سيكون حاملاً لمجموع تلك الأفكار والمفاهيم والتصورات، هو ما يمنح للخطاب النقدي أسسه المعرفية، فهو بالإضافة إلى أنه: «عموم الطريقة. تتولد منه الإجراءات والأدوات وتتعلق به الغايات أو المقاصد والقيم الحاكمة»²³، فهو أساس العملية النقدية، أو الخطاب النقدي، وهذا ما انتبه إليه الناقد محمد صالح خرفي أثناء تعامله مع النص الأدبي، والنقدي ل(رمضان حمود)، حينما استخدم إجراءات علمية اتضحت أولاً: في طريقة تقسيم الكتاب إلى مجموعة مقالات، وملاحق لنماذج من شعره ونثره، بدأه بمدخل جعله خصيصاً لقصيدة "الحرية" التي كتبها (رمضان حمود)، سنة (1928)، ثم تلتها مجموعة مقالات، فُدرت بإثنتي عشرة مقالا يمكن تحديدها على الشكل التالي: المقالة الأولى؛ جاءت على شكل تقديم موجز بعنوان (الشاعر الفقيد)؛ حاول فيه محمد صالح

خرفي تلخيص سيرة وأراء(رمضان حمود)، و تلخيص ما جاء في الكتاب من إبراز بعض الشواهد من نتاجه الشعري والنقدي، كما قام في هذا التقديم بتبرير اختياره لعنوان الكتاب، فعبارة(حمود رمضان)، بدل الاسم المشهور(رمضان حمود)، كما هو معروف يقول عنها: "غير أن الشاعر يقدم لنا نفسه في ترجمة حياته في الجزء الأول من كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر)، بقوله" اسمي حمود وأبي سليمان ولقني رمضان " فهو حمود رمضان لا رمضان حمود "²⁴.

هذا التقديم يعد من أهم ركائز المنهج التاريخي في الأدب الذي ينبني ويبدأ بتقديم اسم الشخصية، وسيرتها التاريخية، وآراؤها ومواقفها، وهو ما فعله صالح خرفي، ففي أربع مقالات من بين إحدى عشرة مقالا نجده يتحدث عن تأثير السياسة، أو الوضع السياسي على الوضع الثقافي، ثم في مقال خامس تعريفى ب حياة(رمضان حمود)، ثم في ست مقالات تحت موضوع مشترك: "هو الثورة". فمثلا في أول مقال معنون ب: "(العشرينات بين المشرق والمغرب)، يقول: " شهدت العشرينات مشرقا ومغربا، هزات عنيفة فجرها التصادم مع المد الاستعماري، وتغلغله في العالم العربي الإسلامي. وشملت هذه الهزات كل جبهة من جبهات المقاومة الوطنية، ثورة مسلحة، أو انتفاضة سياسية أو دعوة إصلاحية أو تفجرا أدبيا وفكريا."²⁵

يحاول محمد صالح خرفي من خلال العودة إلى التاريخ، خاصة المحطات التاريخية الهامة التي أثرت على المستوى السياسي والاجتماعي مشرقا ومغربا، أن يبين مدى تأثير الأحداث السياسية في الأدب، فهو يعتمد منهجا علمية يربط بين النص الأدبي والظروف التاريخية التي نشأ فيها، لأنه يدرك أنه " عندما نسترجع الظروف الأصلية التي أبدع فيها النص أو القصيدة ما بواسطة المنهج التاريخي، فإن المنهج التاريخي يجعل من الممكن أن نعيد إبداعها، ثم الحكم عليها.(...) والمنهج التاريخي يساعد في الوصول إلى الرأي النقدي "²⁶.

إن كن خلاصة، يمكن القول إن محمد صالح خرفي كان يدرك مدى أهمية المنهج التاريخي الذي يتميز باظهار تسلسل الوقائع السياسية ورؤبط بالوقائع الأدبية، مما يجعل الأدب يقدم في ديمومته واستمراره الحي، ولجعلنا نشعر بمؤلفات وأراء (رمضان حمود)، وكأننا نعيشها اليوم أو نعيش في زمن ظهورها.

2.5 الرؤية

أما الرؤية عند محمد صالح خرفي في كتابه(حمود رمضان)، فتتجلى في إدراكه لأهمية هذا الشاعر والناقد، وترجمته، باعتباره علم من أعلام النقد والأدب الجزائري والعربي، وهذه الترجمة العلمية التي لم تقتصر على سرد معلومات فقط، بل تعدتها إلى تحليل نصوص شعرية، ونقدية لاستخراج واستنباط أرائه ورؤيته للشعر، وللحياة في زمنه، لخير دليل على الرؤية الشاملة والدقيقة لمحمد صالح خرفي لأهمية هذا الأديب الجزائري الشاب، لهذا جاء الكتاب مكونا من مجموع مقالات، شكلت الجانب النظري، والتطبيقي، وجانب آخر، يمكن أن نطلق عليه بالملحق الأدبي لنماذج من الإنتاج الأدبي الشعري والنثري ل(رمضان حمود). كل هذا دفع بمحمد صالح خرفي أن يستعمل لذلك المنهج التاريخي الذي يبنى على دراسة الوقائع والأحداث التي أثرت في إنتاج نصوص الناقد(رمضان حمود)، وبالاتكاء على التواريخ التي كتب فيها (رمضان حمود)، سلسلة مقالاته، وأشعاره، التي حددها بالسنوات الثلاث، أو الأربع الأخيرة من حياته.

بأسلوب تحليلي ووصفي وصف محمد صالح خرفي أراء(رمضان حمود)، النقدية وقدا بأنها أراء جريئة وسباقه في النقد والتجديد الشعري، كما استخدم أسلوب المقارنة بين رؤيته، ورؤية معاصره التونسي الشاعر(أبو القاسم الشابي)، وكذا رؤيته ورؤية جماعة الديوان خاصة في الثورة على شعر(أحمد شوقي)؛ هذه الرؤية الفنية

العميقة تحسب لصالح الناقد محمد صالح خرفي الذي قدم لنا شخصية أدبية جزائرية كانت سباقاً في إدراك مفهوم النقد والشعر ووظيفته، وتجديده في ذلك الوقت.

في الأخير يمكن استخلاص النتائج التالية التي توضح رؤيته وهي:

- استخدام المنهج التاريخي بالاعتماد على تقييم الأدب وتشكله بحسب الفترات الزمنية، والظروف السياسية والاجتماعية .

- استخدام أسلوب المقارنة بين نقد(رمضان حمود)، وجماعة الديوان، والتنويه بأسبقية(رمضان حمود)، في كثير من الآراء النقدية الموضوعية في حق أمير الشعراء(أحمد شوقي)، واعتبار أرائه النقدية رأياً جريئاً وسباقاً في النقد والتجديد الشعري.

- التجربة النقدية للناقد محمد صالح خرفي تجربة غنية لا تكتفي بالذوق والانطباع، لكنها تؤسس بأدواتها المعرفية والعلمية لنقد علمي متميز وابداعي يعتمد بالأساس على المنهج التاريخي على الرغم من غياب المصطلحات الدقيقة التي كان يمكن أن نقودنا إلى وضوح منهج معين بحد ذاته.

6. الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكن استخلاص النتائج التالية التي توضح التجربة النقدية عند محمد صالح خرفي في كتابه(حمود رمضان).

1 - أن كتاب "حمود رمضان " لصالح خرفي يعتبر شهادة في حق رمضان حمود:

أولاً : كأديب وناقد متميز ورائد من رواد التجديد الشعري،

ثانياً : هو شهادة وتأريخ للأدب الجزائري واعتراف بأسبقيته في

رؤى التجديد الشعري من خلال آراء الناقد رمضان حمود.

2 - الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات حلل فيها صالح خرفي شعر الشاعر (رمضان حمود) وقدم آراءه النقدية، وثورته على كل ما هو قديم سواء على مستوى الأدب أو الحياة ؛ فهو ثائر على الرجعية، كافر بكل ما هو قديم ورجعي، اختار أن يتمرد وأن يدخل المعركة بدون سلاح إلا من سلاح القلم ، ثائر ضد دعاة الصنمية والجمود ومحبي كل ما هو قديم، وثائر في الوقت نفسه على دعاة التحرر السافر والانسلاخ؛ فهو يعدهم مثلهم مثل دعاة القديم ، ويسميهم بالدخلاء الناعقين.

3 - طبق محمد صالح خرفي في كتابه المنهج التاريخي الذي ساعده على جمع آراء (رمضان حمود)، في سياقاتها التاريخية، وتقديم المؤثرات السياسية والاجتماعية التي أثرت في شعره ونثره .

4- كشفنا في ورقتنا البحثية مدى رؤية الناقد محمد صالح خرفي وأهميتها في صياغة أرائه حول (رمضان حمود)، وكذا قدرته على الجمع بين نثره وشعره ومواقفه النقدية .

5 - في الأخير يمكن القول إن التجربة النقدية لصالح خرفي تجربة غنية لا تكتفي بالذوق والانطباع، ولكنها تؤسس بأدواتها المعرفية والعلمية لنقد علمي يعتمد بالأساس على المنهج التاريخي والإبداعي على الرغم من غياب المصطلحات التي قد تقودنا إلى منهج دقيق ومعين بحد ذاته.

الهوامش والإحالات:

¹ - أحمد صالح خرفي، حمود رمضان، 1985، دط، الجزائر، سلسلة في الأدب الجزائري

الحديث 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص9

² - نفس المصدر، ص 16

³ - نفس المصدر، ص13

⁴ - نفس المصدر، ص 19

- 5- . نفس المصدر، ص22
- 6- . نفس المصدر، ص 24
- 7- . نفس المصدر، ص 25
- 8- . نفس المصدر، ص 25
- 9- . نفس المصدر، ص 34
- 10- . نفس المصدر، ص 11
- 11- . نفس المصدر، ص38
- 12- . نفس المصدر، ص37
- 13- . نفس المصدر، ص 39
- 14- . نفس المصدر، ص43
- 15- . نفس المصدر، ص 44
- 16- . نفس المصدر، ص45
- 17- . نفس المصدر ، ص 52
- 18- . نفس المصدر ، ص 13
- 19- . داود سليمان الشويلي، اشكالية الخطاب النقدي العربي المعاصر،
<https://foulabook.com/ar/book>، بتاريخ 2025/08/7
- 20- . حبيبة مسعودي، الخطاب النقدي عند محمد الصالح خرفي بين توحيد الرؤية والتباس الحدود(في عوالم النص) أنموذجا،مجلة الناص(جامعة جيجل)، المجلد16،العدد29 جوان 2021، ص38
- 21- . ابراهيم عبدالله، المتخيل السردي مقارنة نقدية في التناص والرؤى والدلالة، 1990، ط1، لبنان بيروت، المركز الثقافي العربي، ص215
- 22- . المشهي اسماعيل براهيم، الخطاب النقدي عند د محمد إقبال عروي، 2014، دط، لبنان بيروت، الدائرة العربية للموسوعات، ص15
- 23- . الخولي يمى طريف، مفهوم المنهج العلمي، 2020، دط، مؤسسة هنداي، ص 25، 26
- 24- . نفس المصدر، ص 16
- 25- . نفس المصدر، ص 19

²⁶- إنريك إندرسون إمبرت، تر طاهر احمد مكّي، مناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة

1991، ، ص109